يسر الإسلام

للأستاذ الشيخ عبد العزيز البشري

لقــد يملك كثرة الناس العجب من تمام عظمة الاسلام فى هذا الصدر اليسير من الزمن وبلوغه مابلغ فى غير عنف ولا مطاولة يكادان هذا المجد كله ولا معظمه

واست الآن بصــدد ترديد ما أثر التاريخ ولا ما دوّن المؤرخون فى فتوح الإسلام وانتشاره السريع العجيب فى قواصى الأقطار وأدانيها ، وما كان لأهله في كل مكان من منعة وعزة وسلطان ، فذلك شيء قد فاضت به الكتب ، واحتفلت بتفصيله الأسفار الضخام ؛ وبحسبي — فيما جردت له هذا الكلام القصير — أن ألفت القارئ إلى أن أمة بادية جاهلة سائلة يكون منها فى هذا الزمن ما كان من العرب بفضل الاسلام . هذا فتح ، وهذه سيادة ، وهذا تعمير وتثمير ، وهذى علوم وفنون وصناعات ، وهــذى حضارة لا تتعلق بأذيالها أعلى حضارات التاريخ !

لعمرى ما هذا كله ؟ وكيف كان ؟ وكيف تأتى بهذه السرعة لدولة الإسلام ؟

اللهم إن أوثق يقينى أن مرجع هذا أجمعه إلى ما فى هذا الدين من يسر عظيم

الدين يسر ، وبفضل هذا اليسر كان من دولة الاسلام ما كان !

ستقول : إن الإسلام ما ساد إلا لأنه حق ، وأقول لك : وهل ثمة أيسر من الحق أو أعسر من الباطل ؟ ومتى احتاج الحق فى تجليته إلى عنف أو إلى جهد ؟ إن الباطل هو الذى يحتاج إلى هذا وهذا ، وقل أن يثبت له معهما قرار !

وإذا قيل إن الإسلام دين الفطرة ، فمعنى هذا أنه دين اليسر ، لأن ما جاء على حكم الفطرة لا عسر فيه ولا مشقة . أما ما جاء على جهة التكلف والتصنع فذلك الذى يقتضى كثيراً أو قليلاً من الجهد والعناء

الدين يسر ، وإن هذا اليسر ليغمره من جميع أقطاره . أرأيت أيسر من دعوته : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) . وأى شيء لعمرى في هذه الجملة ينشز على الفهم ؛ بل أى شيء فيها يتعثر فيه الذهن وتضيق عنه مساحة أدنى التفكير ؟

هذا اليسر فى هذا الحق الذى ليس وراءه حق ، هو الذى سلك أقطار الأرض بدعوة الاسلام ، واستفتح لها قلوب الأمم والجماعات فى غير علاج ولا استكراه !

هذه الدعوة اليسيرة الواضحة لقد تغنت بنفسها عن العنف والاضطرار : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) . بل لقد استغنت عن استدراج الناس بفنون الإغراء والاستهواء

وهذه تكاليف الاسلام ، ما قامت فيهـا مشقة إلا قامت بإزائها رخصة ؛ ولا كان فى أحدها على أحد عسر إلا ذلل بين يديه طريق المذر . وهل بعد ذلك اليسر كله يسر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب أن تؤتى رُخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » . وقال تعالى فى كتابه الكريم : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) صدق الله العظيم

لم يقتض الاسلام أحداً احتمال ما لا طاقة له باحتماله ، فهذه تكاليفه ، من استطاع القيام بها ، وإلا تخفف منها فى حدود أحكام الشرع الكريم ، حتى تكافئ طاقته ويتسع لها ذرعه ، ولا يتحرج بها وسعه ، مقبولاً عذره ، مكفولاً عند الله أجره

ولعل من الخير أن أنبه فى هـذا المقام إلى شيء حقيق بالانتباه : ذلك بأن من القواعد المسلمة أن الضرورات تبيح المحظورات ، (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) فالتفريط فى غير ضرورة ، والتخفف من أحكام الشرع من غير داع جدىّ إثم من الآثام . ومن القواعد الأصولية المقررة أن الضرورة تقدر بقدرها . ولا شك بعد هذا فى أن تتبع الرخص وتلمس المعاذير

إنما هو ضرب من الاحتيال للتهرب من تكاليف الدين ، وهيهات لا يتطلى على الله محال !

* * *

ومن يسر هذا الدين أنه لم يُقم بينك وبين ربك أية واسطة . وليس من شك فى أن ما تستطيع أن تتناوله بنفسك أيسر عليك وأدنى إليك مما لا تستطيع تناوله إلا بواسطة غيرك . فاذا زلّت بك القدم ، وقلّبك الشيطان فى المنكر ، أقبلت على ربك ، وسألته قبول توبك ، والعفو عما أسلفت من ذنبك ، مطمئناً إلى (أن الله يغفر الذنوب جميعاً) . ليس بك حاجة إلى من يمهد بين يديك سبيل المغفرة ، ولا من يعانى لك استخراج العفو والمغفرة

* * *

وبعد ، فان من يسر هذا الدين شدة تسامحه ؛ ولا يذهب عنك أن هذا التسامح إنما كان من أبلغ الأسباب فى عظمته

لا يدعوك الاسلام إلى كراهة ما يصدر عن مخالفك فى الدين لأنه يخالفك فى الدين ، بل يدعوك إلى أن تكره منه ما يُكرَه ، وتُقرّ منه ما يُحبّ ويُؤتَر ، فهو وأخوك المسلم فى هذا بمنزلة سواء

ولقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جُبة رومية ، وقال تعالى فى كتابه الكريم : (وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم وطعامكم حلٌّ لهم) ، ولا ريب فى أن لهذا ولهذا دلالة كان لها أعظم الآثار فى نهضة الاسلام !

لم ينفر المسلمون من مخالفيهم فى الدين ولا فى الجنس ، ولم يحتجز بهم تعصب عن مخالطتهم والاتصال الوثيق بهم ، والانتفاع بكفاياتهم والأخذ عنهم . ولم يكد يستقيم أمر الملك لهم حتى أقبلوا على علوم من سبقوهم فترجموها إلى لغتهم ، وجعلوا يتروونها ويشيعون الأذهان فيها ، ويطيعونها على غرار عقولهم ، ويزيدون فيها ما فتق الرأى والذكاء لهم . كذلك كان شأنهم فى الفنون ، فقد حذقوها أتم الحذق ، وبرعوا فيها أعظم البراعة ، وأداروها على أذواقهم ، حتى اتسق لهم منها فن خاص ؛ وناهيك بالفن العربىّ الذى ما برحت آياته مسطورة على جبين الزمان

* * *

أرجو أن تكون قد اطمأننت بعد هذا ، إلى أن اليسر فى الاسلام ، كان من أبلغ الأسباب فى عظمة الاسلام

عبد العزيز البشرى

بين الشك واليقين

للأستاذ أحمد خاكى

تطغى على العالم اليوم موجة من الشك تكاد تجترم بقية اليقين التى يحرص عليها الفلاسفة . وقد أسرفت الجماهير فى الشك حتى لقد أصبح هو القاعدة لكل تفكير ، وأصبح اليقين شذوذاً لهذه القاعدة ؛ وحتى ليكاد الانسان يجزم بأننا نجتاز عصراً من عصور السفسطة التى فقدت عندها المعانى والأمثلة العليا أكثر قيمتها . وقد عانت تلك المعانى وهذه المثل العليا ما عانت لاختلاف وجهات النظر بين فريق وفريق ؛ وكل فريق يذهب إلى ما يذهب إليه لأنه يرضى حاجة ملحة فى نفسه ، فهو يتعلق به لأنه يرى فيه إرضاء لنزعاته الجامحة سواء أكانت نبيلة أم وضيعة . وقد أدى ذلك إلى أن تضعضعت قواعد الايمان وحل الشك فى كل بيئة سياسية أو اجتماعية يتذرع به كل مفكر حتى تستوى له الغاية التى يريد . ولعلنا لن ندرك حاجة العالم اليوم إلى اليقين حتى نبحث أصول الشك ، ولأننا نريد أن نقيم مثلاً أعلى يتألف قلوبنا ، فينبغى أن نتعمق البحث فى أصل ذلك الاضطراب الذى يصطخب به العالم

والحق أن الشك فى العصر الحاضر قد أدرك ما أدرك من القوة لأنه لبس لبوساً علمية خالصة . فقد ذهب كل فريق إلى الرأى الذى يرضيه ، لكنه جاهد فى إرضاء تفكيره بأن اتخذ من العلم مسوغاً يضعف ويقوى . وأصبح الشك لذلك علمياً يقوم على دراسات شتى . ووجد المفكرون والسياسيون فى تلك